

## التراوigh أكثر من ألف عام

يقال الشیخ عطیة محمد سالم  
القاضی بالمحكمة الكبرى بالمدینة

بحث تاریخي يحمل روح الفقهاء يقدمه فضیلۃ الكاتب للقراء، والموضوع في الحقيقة حساس يتقبل کثیرا من المناقشة ولا يزال يحتاج إلى کثیرا من البحث والتقدیم ولذلك فإن فضیلۃ المؤلف بحثه هذا الجدید یشير الفرصة مرة أخرى لایفاء (التراویح) حقها والهدف الأول والأخر هو الحق ولذلك فإنه ینتظر بفارغ الصبر آراء القراء وملاحظاتهم وفوائدهم حول الموضوع الذي سیستمر في حلقات متابعة إن شاء الله (المحلہ)

### أولاً: العهد النبوی

لا شك أن میدان التشريع وأصله إنما هو ما يكون عن رسول الله صلی الله علیه وسلم وأن العصر النبوی هو عصر التشريع لقوله تعالى: **{وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهِوَا}**، ولقوله تعالى: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ}** إلى غير ذلك من النصوص وبلغ بذلك عصر الخلفاء الراشدين لقوله صلی الله علیه وسلم: **"عَلَيْكُمْ بِسْتَنِي وَسَنَةُ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهَدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي"**.

و التراویح وإن اختصت برمضان فإنها داخلة في عموم قیام اللیل، وقد جاءت النصوص في عموم قیام اللیل، وفي خصوص تراویح رمضان: **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ تَائِلَةً لَكَ}، {يَا أَيُّهَا الْمُرَمِّلُ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا}**.

أما خصوص قیام رمضان فالواقع أنها وإن كانت أخص من قیام اللیل من حيث الزمان، فهي أعم منه من جهة الطلب

### التدرج في مشروعية التراویح

وبالتأمل في نصوص التراویح يظهر أنها أخذت سیل التدرج والتطور التصاعدي وذلك كالآتي

أ- الترغیب المطلق: كما في حديث أبي هريرة عند مسلم وساقه البیهقی ج2 ص492 ما نصه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه". قال البیهقی: "رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى، ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك". ومثله عن أبي هريرة عند البیهقی، وقال: "رواه البخاري عن يحيى بن يکير". فهذا ترغیب من غير تحديد بعدد ولا إلزام بفعل لهذا قال أبو هريرة في سنن البیهقی: "إن رسول الله صلی الله علیه وسلم كان يرغبهم في قیام رمضان من غير أن يأمرهم فيها بعزيمة فيقول: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

ب- ثم جاء التنصیص على أن قیامه سنة مفروضة بفرضیة صیامه كما في حديث عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلی الله علیه ذکر شهر رمضان فقال: "إن رمضان شهر افترض الله صیامه وإنی سنت للمسلمین قیامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب کیوم ولدته أمه". فی هذا النص تدرج من مطلق الطلب إلى أنه سنة وزاد في قوتها اقتران سنیة قیامه بفرضیة صیامه كما تفیده دلالة الاقتران . المعروفة في الأصول

### نتیجة هذا الترغیب

كانت نتیجة هذا الترغیب أن بادر الناس إلى قیامه أفراداً وجماعات يأتیون بمن معهم شيء من القرآن لحديث عائشة رضی الله عنها قالت: **"كَانَ النَّاسُ يَصْلُوُنَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَوْ زَوْلَاعَ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ شَيْءٌ مِّنَ الْقُرْآنِ فَيَكُونُ مَعَ النَّفَرِ الْخَمْسَةِ أَوِ السَّتَّةِ أَوْ أَقْلَمْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ يَصْلُوُنَ بِصَلَاتِهِ"**، قالت: فأمرني رسول الله صلی الله علیه وسلم ليلة من ذاك أن أنصب له حصيراً على باب حجرتی ففعلت فخرج رسول الله صلی الله علیه وسلم بعد أن صلی العشاء الآخرة فاجتمع إليه من في المسجد فصلب بهم رسول الله صلی الله علیه وسلم لیلاً طويلاً، ثم انصرف فدخل وتركت الحصیر على حاله، فلما أصبح النهار تحدثوا بصلة رسول الله صلی الله علیه وسلم بمن كان بالمسجد تلك الليلة، فأمسى المسجد زاخاً بالناس فصلب بهم صلی الله علیه وسلم صلة العشاء الآخرة ثم دخل بيته، وثبت الناس فقال لي: "ما شأن الناس" فقلت له: "سمع الناس بصلاتك البارحة بمن كان في المسجد فخشيدوا لذلك لتصلي بهم". قال: "اطو عننا حصیرك يا عائشة". فعلت، فبات رسول الله صلی الله علیه وسلم غير غافل وثبت الناس مكانهم حتى خرج إليهم إلى الصبح فقال: "أيها الناس أما والله ما بت والحمد لله ليتلقي غافلاً ما خفي على مکانکم ولکنی تخویفت أن یفرض عليکم اکفلوا من العمل ما تطیقون فإن الله لا یمل حتى تملوا". رواه المروزی بهذااللطف ورواه البیهقی وذكر الليالي ثلاثة أو أربعاً. وفي مجمع الزوائد عن جابر قال: **"صَلَّى بَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ وَأَوْتَرْ فَلَمَا كَانَ الْفَاقِلَةَ اجْتَمَعُنَا فِي الْمَسْجِدِ وَرَجَوْنَا أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْنَا فَلَمْ نَزُلْ فِيهِ حَتَّى أَصْبَحَنَا ثُمَّ دَخَلْنَا .."** الحديث. وأصل الحديث في البخاري ومسلم. وفيه وفي السنن للبیهقی أن رسول الله علیه الصلاة والسلام صلی في رمضان عشرين رکعة ولكنه ضعیف بأی شیء

فی هذا الحديث على روایة المروزی قیام الناس مع من معه شيء من القرآن فهو تدرج من الترغیب إلى الاستناد المقویون بفرضیة الصیام، إلى القيام بالفعل في المسجد مع من معه شيء من القرآن ثم خطوة أخرى وهي القيام مع رسول الله صلی الله علیه وسلم بصلاته وإن كان لم یشعر بهم على الصحيح

"كما في سؤاله عائشة: "ما شأن الناس" وقوله: "اطو عن حصيرك". وأصر من هذا حديث أنس عند المروزي: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى في رمضان فجئت فقمت إلى جنبه ثم جاء آخر ثم جاء آخر حتى كنا رهطا، فلما أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خلفه تجوز في صلاته، ثم دخل منزله، فلما دخل منزله صلى صلاة لم يصلها عندها فلما أصبحنا قلنا يا رسول الله: أو فطنت لنا البارحة"، فقال: "نعم، وذلك الذي حملني على ما صنعت". ففي هذا الحديث ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم في أول صلاته لقول أنس: "فلم أحس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خلفه"، كما أن فيه ما يشعر أنه صلى الله عليه وسلم بدأ صلاته تلك في المسجد بدليل قوله: "تجوز في الصلاة ثم دخل منزله". وكما يشعر بأنه صلى الله عليه وسلم علم بصلاتهم خلفه ولم يذكر عليهم، وأصر من ذلك دلالة على صلاته صلى الله عليه وسلم في المسجد حديث عائشة عند البيهقي عن عروة بن الزبير رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل يصلى في المسجد فصلى رجال يصلون بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك. وساق قصبة صلاته البالي إلى الليلة الرابعة. قالت: "عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم". ففيه دلالة صريحة أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة في المسجد، وفيه دلالة على امتلاء المسجد بالمصلين.

وهذه خطوة أخرى وهي امتلاء المسجد بعد أن كانوا أوزاعاً فقد عجز المسجد عن أهله ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج إليهم خشية أن تفرض عليهم إذن فقد كان من الممكن أن يخرج إليهم لولا تلك العلة التي هي خشية أن تفرض عليهم. وكأن الصلاة بهم والاجتماع إليها أمر جائز لولا الشفقة عليهم وخشية تكليفهم بها ثم يعجزون ولقد أقر صلاة غيره بجماعة من الناس سواء في البيوت أو في المسجد.

أما في البيوت فللحديث أبي بن كعب عند المروزي قال عن جابر رضي الله عنه جاء أبي بن كعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقال: "يا رسول الله كان معي الليلة شيء". قال: "وما ذاك؟" قال: "نسوة داري قلن إنا لا نقرأ القرآن فنصلى خلفك بصلاتك فصليت بهن ثمان ركعات فسكت عنه، وكان شبه الرضا.

وأما في المسجد فحديث أبي هريرة عند المروزي أيضاً قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد" فقال: "ما هؤلاء؟" قيل: "هؤلاء أناس ليس معهم قرآن، وأبي بن كعب يصلي بهم فهم يصلون بصلاته". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصابوا" أو "نعم ما صنعوا".

ثم كانت المرحلة قبل الأخيرة وهي ما جاء في حديث أنس. وحديث أنس عند المروزي "كان النبي صلى الله عليه يجمع أهله ليلة إحدى وعشرين، ويصلي بهم إلى ثلث الليل، ثم يجمعهم ليلةاثنين وعشرين فيصلي بهم إلى نصف الليل، ثم يجمعهم ليلة الثالث والعشرين فيصلي بهم إلى ثلث الليل. ثم يأمرهم ليلة الرابع والعشرين أن يغتسلوا ويصلي بهم حتى يصبح ثم لا يجمعهم". فهذا الحديث نص في أنه صلى الله عليه وسلم قام بأهل بيته ثلات ليال مدة متفاوتة. ويتدرج الأولى إلى الثلث الليل والثانية إلى نصفه والثالثة إلى ثلثيه.

وليس بعيد أن يوحى هذا العمل بين الرغبة في الخير وبين الخوف من أن تفرض، لما يفهم من أنه كان في العشر الآخر وهي محل الرغبة أكثر وكذلك التدرج في إطالة المدة استجابة لتلك الرغبة. كما يفهم من عدم المواصلة إلى آخر الشهر خشية أن يفرض ثم جاءت المرحلة الأخيرة في التدرج من حديث أبي ذر قال في المتنقى: "رواه الخامسة وصححه الترمذى" ورواه أيضاً البيهقي ونصه في السنن: "صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فلم يقم بنا من الشهر شيئاً حتى كانت ليلة ثلاث وعشرين قام بنا حتى ذهب نحو ثلث الليل ثم لم يقم بنا من الليلة الرابعة وقام بنا من الليلة الخامسة حتى ذهب نحو من نصف الليل، فقلنا: يا رسول الله لو نفلتنا بقية الليل". فقال: "إن الإنسان إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته"، ثم لم يقم بنا ليلة السادس وقام السابعة وبعث إلى أهله، واجتمع الناس حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح.

قال البيهقي: "رواه مهيب عن داود قال: ليلة الرابع وعشرين والسابع مما يبقى، وقال ليلة ست وعشرين الخامس مما يبقى وليلة ثمان وعشرين الثالث مما يبقى.

ففي هذا الحديث وصول يصلة التراويف إلى حد التجمع والتقرير عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله له: "لو نفلتنا بقية الليلة". وفي هذا دلائل على أمرين

أ- الأول: أنه صلى الله عليه وسلم علم بهم وأقرهم على تجمعهم في المسجد كما أنه في السابعة وعشرين بعث إلى أهله وبشهاد لهذا الجزء ما في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم إذا كان العشر الآخر شد المئزر وطوى فراشه وايقظ أهله

ب- الأمر الثاني: أنه وإن لم يحدد صلى الله عليه وسلم عدداً من الركعات إلا أنه أقرهم على طلبهم الزيادة بما كان وإلى بقية ليتهم. فلم يذكر عليهم طلب الزيادة ولكنه أرشدهم إلى ما يعوض عنها وهو قيامهم مع الإمام حتى ينصرف. وهذا مثل قصة (زينة) لما مر عليها صلى الله عليه وسلم وهي تسing على حصى أو نوى حتى رجع فوجدها على تلك الحالة فقال لها: "لقد قلت كلمات تعدل كل ما قلت سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضأ نفسه وزنة عرشه". فلم يذكر عملها وأرشدها إلى ما هو خير منه وهكذا هنا لم يذكر طلبهم الزيادة وأرشدهم إلى ما هو خير منه بل إلى ما يساويه فحسب

وعليه فهنا صلاة في جماعة بإمام ومامومن في المسجد وهذا غاية الإثبات لصلاة التراویح في المسجد  
جماعه ويا مامته صلی الله عليه وسلم  
ثم جاءت الليلة السابعة والعشرون فكانت عامة شاملة شملت أهله صلی الله عليه وسلم مع عامة  
الناس

### عدد الركعات في ذلك العصر

جاء عن جابر أربع ركعات - 1-

جاء في بعض النصوص أنه صلی الله عليه وسلم صلی ثمان ركعات - 2-

وجاء في نص ضعيف عشرين ركعة - 3-

وجاء الإطلاق بدون تحديد مع التقرير على طلب الزيارة إلى بقية ليتهم - 4-

وجاء التدرج من ثلث الليل ثم نصف الليل ثم ثلثي الليل. وهل كان ذلك بزيادة في عدد الركعات أم - 5-  
إطاللة في القراءة مع عدم الزيادة في عدد الركعات طيلة الليل الثلاث وإلى أي حد كانت إطاللة القراءة  
والقيام

**كيفية صلاتها:** جاء عن حذيفة رضي الله عنه أنه صلی مع رسول الله صلی الله عليه وسلم ذات ليلة  
في رمضان فركع فقال في رکونه: "سبحان رب العظيم مثل ما كان قائمًا، ثم سجد فقال في سجوده:  
سبحان رب الأعلى مثل ما كان قائمًا، ثم جلس يقول: رب اغفر لي مثل ما كان قائمًا، ثم  
سجد فقال: سبحان رب الأعلى مثل ما كان قائمًا، فما صلی إلا أربع ركعات حتى جاء بل إلى الغداة".

فهذا نص في بيان تطويل الصلاة في أربع ركعات في رمضان خاصة  
أما عموم قيام الليل: فقد عقد البخاري بابا بعنوان : كيف صلاة النبي صلی الله عليه وسلم وكم كان  
النبي صلی الله عليه وسلم يصلى من الليل وساق حديث عبد الله بن عمر أن رجال سأل النبي صلی الله  
عليه وسلم "يا رسول الله كيف صلاة الليل؟" قال: "مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر واحدة". (البقية  
على صفحة 78)

### مقابلة شخصية

قال الربع بن زياد الحارثي: "كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين فكتب إليه عمر بن الخطاب  
يأمره بالقدوم عليه هو وعامله، فلما قدمنا المدينة أتيت (يرفا) فقال: يا يرفا ابن سبيل مسترشد أخبرني  
أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله؟ فأؤمّنا إلى الخشونة. فأخذت خفين مطرقين  
ولبس جبة صوف ولشت رأسى بعمامة دكناة. ثم دخلنا على عمر فصنعا بين يديه وصعد فيما نظره وصوب  
فلم تأخذ عينه أحد غيري فدعاني فقال: من أنت؟ قلت: الربع بن زياد الحارثي. قال: وما تتولى من  
أعمالنا؟ قلت: فكم تبرز؟ قلت: خمسة دراهم كل يوم. قال: كثير مما تصنع بها؟ قلت:  
اتقوت منها شيئاً وأعود بباقيها على أقارب لي فيما فضل منها على فقراء المسلمين. فقال: لا بأنس ارجع  
موقعك. فرجعت إلى موضعي من الصف. ثم صعد فيما وصوب فلم تقع عيناه إلا على فدعاني فقال: كم  
سنوك؟ قلت: ثلاث أربعون سنة. قال: الآن حين استحكمت. ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثه عهد بلين  
العيش وقد تجouت له فأتى بخيز بais وأكسار بغيره، فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت أكل فاجيد الأكل  
فنظرت فإذا به يلحوظني من بينهم. ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني ساخت في الأرض ولم أقطع بها فقلت:  
يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا؟ فزحرني وقال:  
كيف قلت؟ قلت: أقول لو نظرت يا أمير المؤمنين إلى قوتك من الطحين فيخيز لك قبل إرادتك له بيوم  
ويطيخ لك اللحم كذلك فنؤتى بالخيز لينا وباللحام غيرنا. فسكن من غضبه وقال: هذا قصدت؟ قلت: نعم.  
قال: يا رب يانا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق ورفائق وصناب ولكنني رأيت الله تعالى نهى على  
قوم شهوائهم فقال: **{أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا وَاسْتَمْقَعْتُمْ بِهَا..}** ثم أمر أبا موسى أن  
يقرني وان يستبدل أصحابي

العقد الفريد - ج 1

### (تنمية التراویح )

فهذا نص لا حد فيه وأنه يصلى مثنى مثنى إلى أن يخشى الصبح  
وساقه البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كانت صلاة النبي صلی الله عليه وسلم ثلث عشر  
ركعة يعني بالليل

وحديث مسروق عن عائشة أنه سألها عن صلاة رسول الله صلی الله عليه وسلم بالليل فقالت: "سبع  
وتسع وإحدى عشرة سوی ركعتين الفجر

ثم بوب البخاري أيضاً باب قيام النبي صلی الله عليه وسلم بالليل في رمضان وغيره  
وساق بسنته إلى عائشة رضي الله عنها: "ما كان رسول الله صلی الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا  
في غيره على إحدى عشر ركعة يصلى أربعاً فلا تسل عن حسنها وطلوهن ثم يصلى أربعاً فلا تسل عن  
حسنها وطلوهن ثم يصلى ثلاثة"، قالت عائشة: فقال: "يا رسول الله أنت أعلم قبل أن توتراً؟" فقال: "يا  
عائشة إن عيني ت تمام ولا بنام قلبي

ولthen كانت عائشة وصفت صلاته صلی الله عليه وسلم بالطول والحسن وحدتها بإحدى عشرة ركعة فقد  
جاء حديث حذيفة عند مسلم "أنه صلی مع النبي صلی الله عليه وسلم ليلة فقرأ القرآن وأآل عمران  
والنساء في ركعة، وكان إذا مرّ بأية فيها تسبيح ستح، أو سؤال سآل، أو تعوذ تعوذ، ثم ركع نحو ما قام  
ثم قام نحو ما ركع ثم سجد نحو ما قام". قال ابن حجر بعد أن أورد هذا الحديث: "وهذا إنما يتأتى في

". نحو ساعتين، فلعله أحياناً تلك الليلة كلها . وهذا مما يدل على طول القيام إلى حد أن تستغرق الركعة الواحدة ساعتين وقد جاء عند البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء" قلت: "وما هممت؟" قال: "هممت أن أقعد وأذر النبي صلى الله عليه وسلم". فتحصل لنا من هذا كله أن صلاة التراويح كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنها مشروعة عنه صلى الله عليه وسلم ابتداء وأنها أخذت تتطور على عدة مراحل فكانت كالتالي :

### **تطورها في العصر النبوى**

- أولاً: بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم -1.
  - ثانياً: انتقلت إلى السنة والندب مقرونة بفرضية الصيام -2.
  - ثالثاً: أديت بالفعل أداتها أوزان من الناس -3.
  - رابعاً: تسلل الناس إلى مصلاه صلى الله عليه وسلم فأتموا به صلى الله عليه وسلم وهو لا يشعر بهم -4.
  - خامساً: تقريره صلوات الله وسلامه عليه لمن يصلى بالناس سواء في المسجد أو في البيت -5.
  - سادساً: صلاته هو صلى الله عليه وسلم بالفعل بأهل بيته -6.
  - سابعاً: صلاته هو صلى الله عليه وسلم بالفعل بأهل بيته وبالناس عدة ليال متفرقة -7.
- أما العدد أي عدد الركعات
- A- فقد صلى أربع ركعات استغرقت الليل كله
  - B- وصلى ثمان ركعات
  - C- وصلى إحدى عشر ركعة لا تسل عن حسنها وطولهن
  - D- وصلى ثلاث عشرة ركعة
- وهذا ما يقتصر عليه بعض المتأخرین ولكن جاء الإطلاق بدون حد من قام رمضان إيماناً واحتساباً -1.
- جاء تقريره على طلب الزبادی لو نفلتنا بقیة لیلتنا؟ -2.
- وهناك مبحث لم يتطرق إليه أحد فيما أعلم وهو -3.
- أن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط ودخل بيتي إلا وصلى أربعاً أو ستة". وجاء عنها أنه كان يفتح صلاة الليل برکعتين خفيفتين فلو جمعنا حديث ابن عباس (13) ركعة مع حديث عائشة (6) ركعات بعد العشاء مع (2) ركعتين يفتح بهما صلاة الليل لكنه ذلك كله  $(6 + 13 = 19 + 2 = 21)$  إحدى وعشرون ركعة. وهو العدد الذي جمع عمر رضي الله عنه الناس عليه مع أبي ابن كعب ويكون هذا العدد مستندًا إلى سنة لا مجرد اختيار عمر رضي الله عنه والله أعلم وبعد هذا فلا يحق لأحد أن يمنع الزيادة على ثمان ركعات وقوفاً عند حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها أو يعيّب فعل متهماً إياه بمخالفة السنة حاشاه رضي الله عنه

### **عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه**

كان عهد الصديق رضي الله عنه غير طويل، وكان الناس حدثاء عهد بهد النبوة فلم تتكون عوامل تغيير تذكر بالنسبة للتراويح. ولهذا لم يذكر أحد أن التراويح في عهد الصديق رضي الله عنه طرأ عليها جديد مستدلين بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرغّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك وكان الأمر على ذلك". قال البيهقي: "زاد أحمد بن منصور الرمادي في روایته في خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رواه مسلم في الصحيح. ورواه مالك بسنده إلى ابن شهاب وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك في صدر خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما". ولكن حديث عائشة عند البيهقي قال: "كنا نأخذ الصبيان من الكتاب ليقوموا بنا في شهر رمضان فنعمل لهم (القلية) والخشكانج" وعند المروزي: "فنعمل لهم (القلية) والخشكانج" وهو خبز سمراء فهو نص على إقامة التراويح بإمامية الصبيان. وقطعوا لم يكن ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان في عهد الصديق فيكون تطويراً جديداً أم في عهد عمر؟ والذي يظهر أنه كان في عهد الصديق رضي الله عنه لأنه كان في عهد عمر كما سيأتي ترتيب أئمة للحرال وإمام النساء وعلى كل ففيه تطوير جديد، فإن كان في عهد الصديق فهو جديداً أمّا كان من قبل وهو الرابع وإن كان في عهد عمر فيغلب على الطعن أن ذلك كان في البيوت لأنهن لن يأخذن الصبيان من الكتاب وعمراً جاعل إمام لهن، ولا سيما عائشة رضي الله عنها فأحرى بها رضي الله عنها أن تصلي في بيتها وقد يجتمع لها من النساء

### **القراءة زمن الصديق**

وقد ظلت القراءة طويلة في زمن الصديق رضي الله عنه لما في حديث عبد الله ولد الصديق، فعن مالك عن عبد الله بن أبي بكر سمعت أبي يقول: "كنا نتصرف في رمضان من القيام فنستعجل الخدم بالطعام". مخافة الفجر

وقد طرأ في هذا العصر أيضاً نوع مقارنة بين القراء. فكان الناس يميلون إلى من كان حسن الصوت بالقراءة كما سيأتي إياضه إن شاء الله في عهد عمر رضي الله عنه

## **في عهد عمر رضي الله عنه**

جاء عهد عمر رضي الله عنه والحال كما كان عليه من قبل يصلون أوزاعاً فُرادي وجماعات في البيوت وفي المسجد يصور ذلك أكمل تصويراً ثراناً هما: أثر إيساً الهذلي، وأثر عبد الرحمن بن عبد الأثر الأول: عن نوفل قال إيساً الهذلي: كان الناس يقمون في رمضان في المسجد وكانوا إذا سمعوا قارئاً حسن القراءة مالوا إليه. فقال عمر رضي الله تعالى عنه: "قد اتخذوا القرآن أغاني والله لئن استطعتم لاغيرن هذا"، فلم تمر ثلاثة حتى جمع الناس على أبي ابن كعب. وقال عمر: "إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة". رواه المروزي

ب - الأثر الثاني: وهو أثر عبد الرحمن بن عبيده - بالتنوين - (القارئ) خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعاً متفرقون يصلون بالرجل لنفسه وبصلي الرجل فيصلون بصلاته الرهط فقال عمر: "إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل" ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم: "نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون" يعني آخر الليل وكان الناس يقومون أوله. رواه البخاري

## **التطور الجديد**

نجد في الأثرين السابقيين تطويراً جديداً على يد عمر رضي الله عنه وهو جمع الأوزاع والأشتات على قارئ واحد. وهذا التطور وإن تعدد أسبابه فقد جمع عدة مصالح فالأثر الأول يشير إلى أن السبب له صلة بحسن القراءة وفي هذا مجال فسيح لمنافسة القراء وتسابق المصلين، وهو أمر لو طال به المدى لابتعدت الشقة بسيبه بين المصلين، فوحد القارئ لتتوحد القراءة. وقد يؤخذ منها درء المفسدة على جلب المصلحة؛ لأن تتبع المصلين لمن هو أحسن صوتاً مجال لتحسين الصوت بالقراءة وهو أمر مرغوب فيه غير أنه قد يكون مدعاة إلى التغالي حتى يصل إلى التغنى كما أشار عمر رضي الله عنه من قبل فجمعهم على قارئ واحد سداً للذرعية ودرءاً للمفسدة والأثر الثاني يشير إلى وجود جماعات وأفراد لا تربطهم عوامل موحدة، ولو طال بهم المدى أيضاً لافتقدوا عامل الاختلاف والاتحاد وضاعت ثمرة الجماعة فوحد الإمام ليحتمم المأموم وكانت نعمة البدعة في كلام الأمرين. وإلى هنا تم توحيد المصلين للتراويف على إمام واحد وهو أبي بن كعب

## **تعدد الأئمة**

وقد جاء عنه رضي الله عنه أنه جعل إمامين لل الرجال وهما أبي بن كعب وتميم الداري، وكانا يقومان في الليلة الواحدة بتناولهما. يبتدىء الثاني حيث ينتهي الأول كما جاء في رواية السائب بن يزيد قال: أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري رضي الله عنهما أن يقروا للناس بإحدى عشرة ركعة، وذلك مع المحافظة على طول القراءة كما في الرواية الأخرى له: كنا نصلِّي زمانَ عمرَ بنَ القارئِ يقرأ في كل ركعة في رمضان ثلاث عشرة ركعة، ولكن والله ما كنا نخرج إلا وجاه الصبح كان القارئ يقرأ في كل ركعة بخمسين آية ستين آية. وكما في رواية السائب أيضاً أنهم كانوا يقرؤون بالمئين من القرآن وأنهم كانوا يعتمدون على العصا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فالذي تحدد في هذين الأثرين هو: أ - تعدد الأئمة بعد إمام واحد. وهو أبي، وسواء كان ذلك رفقاً بالإمام الأول فجعل معه آخر يساعدته، أو كان ترويحاً للمأمومين وتنشيطاً للمصلين ولا سيما وقد كانوا حدثاءً عهداً. يتعدد الأئمة حينما كانوا يصلون أوزاعاً

وقد مضى عمر رضي الله عنه إلى أبعد من هذا فجعل إماماً للنساء، وانتخب أكثر من إمام للتراويف، أما إمام النساء فهو سليمان بن أبي حتمة. فكما جاء عند المروزي قال: وعن هشام بن عروة عن أبيه: جعل عمر بن الخطاب للناس قارئين فكان أبي بن كعب يصلِّي بالرجال وكان بن أبي حتمة يصلِّي بالنساء. فهذا الأثر يفيد أن إماماً سليمان بن أبي حتمة بالنساء كانت أثناء إمامته أبي للرجال، أي أنهما كانا يصليان في وقت. هذا لهؤلاء وهذا لولائي

وقد كان ذلك أقصى ما وصلت إليه التراويف من حيث النشاط والصبر وطول القيام وكثرة القراءة. ثم أخذت في التدرج إلى الأسهل فتعددت الأئمة وخفت القراءة وكثرت الركعات أما تعدد الأئمة أكثر من ذلك فهو كما في رواية عاصم عن أبي عثمان رحمه الله أن عمر رضي الله عنه جمع القرآن في رمضان فأمر أخفهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية وأوسطهم خمساً وعشرين وأثقلهم قراءة عشرين

فنرى هنا تعدد الأئمة وهو أكثر ترويحاً وتحفيفاً على نفس الإمام وعلى المأمومين، ثم نرى أيضاً تحفيف القراءة فأقصاها ثلاثون بعد أن كانت تصل إلى الستين والمئين. بل نجد أثراً آخر وهو أن عمر رضي الله عنه أمر أباً فاماً في رمضان فكانوا ينامون ربع الليل ويقومون ربعة وينصرفون بربع لسحورهم وحوائجهم. وكان يقرأ بهم خمس آيات ست آيات في كل ركعة وبصلي بهم ثمان عشر ركعة شفعاً يسلم في كل ركعتين، ويروحهم قدر ما يتوقف المتأوه ويقضي حاجته، بهذا يتضمن إلى أي مدى حدث تغير وتحفيف في الكيفية والقراءة.

أما عدد الركعات فكالآتي فنقدم أن أول ما أمر عمر أباً أن يقوم الناس أنه أمره بثمان ركعات. وكان يقرأ فيها بالمئين، وكانوا لا ينصرفون إلا في وجه العجر

ونقدم أن عمر أباً وتميناً أن يقوموا للناس ثلاث عشرة ركعة. وهذا بالنسبة إلى ما جاء من ثمان ركعات يكون معها ثلاثة وتراء. وقد جاءت رواية محمد بن سرين أن معاداً أباً حلية القاري كان يصلِّي

بالناس إحدى وأربعون ركعة. ومعاذ أبو حليمة هذا، قال في التقريب: "هو معاذ بن الحارث الأنصاري البخاري القاري أحد من أقامه عمر بمصلى التراویح. وقيل هو آخر يكتنی آبا الحارث صحابي صغیر استشهد بالحرقة ... اهـ".

و الحرة كانت سنة 63 يؤيد هذا العدد ويفصله رواية أبي زيد عن صالح مولى التوأمة قال: "أدرکت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين ركعة يوترون فيها بخمسة، فكانت التراویح إحدى وأربعون ينقصها أي ستة وثلاثون ركعة".

وصالح هذا قال في التقریب: "هو صالح بن نبهان المدینی مولی التوأمة بفتح المشناة وسکون الواو .". وبعدها همزة مفتوحة، صدوق اختلط في آخر أمره قال بن عدي: "لا يأس برواية القدماء عنه کابن أبي زید وابن جریر، من الرابعة مات سنة 125. والرواية هنا عنه من رواية الأقدمین. وهو ابن أبي ذئب كما مثل ابن عدي لما لا يأس به عنه. فهو هنا يقول: أدرکت الناس قبل الحرة يقومون بإحدى وأربعين ركعة ويوترون منها بخمسة. وهذا موافق لما قاله محمد بن سرین أن معاذًا بن حلیمة القاری کان يصلی بالناس إحدى وأربعين ركعة أي ستة وثلاثین قیاماً وخمسة وترًا.

أ - فتكون التراویح زمن عمر رضی الله عنه بدأ بثلاث عشرة ركعة أي بما فيها الوتر

ب - ثم إلى ثلاثة وعشرين بما فيها الوتر ثلاثة

ج - ثم بستة وثلاثین وهمها خمس ركعات وترًا. والمجموع إحدى وأربعين ركعة إلا أنها لاحظ أن كثرة

:الركعات معها تخفیف القراءة لأنه أولاً: ثمان ركعات، أو ثمان عشرة ركعة، يقرؤون بالمعنى. وكانوا لا ينصرفون إلا على وجه الفجر. وعليه

قلنا تكون القراءة لستة وثلاثین ركعة كالقراءة لثمان أو لست عشرة ركعة

بل وجدنا عملياً أن عمر رضی الله عنه جمع القراءة فامر من كان أخف القراءة أن يقرأ بثلاثین بينما كانت

القراءة بخمسين بستين كما تقدم

وعليه لا يكون تعارض بين الروایات الواردة وعدد الرکعات للتراویح زمن عمر رضی الله عنه. كما قال الباجي رحمه الله في شرح الموطاً<sup>1</sup> ما ملخصه: قد اختلفت الروایات فيما كان يصلی به في رمضان في زمان عمر رضی الله عنه. فروى السائب بن يزيد إحدى عشرة ركعة، وروى يزيد بن رومان ثلاثة وعشرين ركعة، وروى نافع مولى ابن عمر أنه أدرك الناس يصلون بتسعة وثلاثین ركعة يوترون فيها

.ثلاث

فيحتمل أن يكون عمر رضی الله عنه بدأ بثمان على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أفاده حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم: "ما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ولا في غيره على ثمان رکعات". وأمرهم مع ذلك بطول القراءة يقرأ القراءة بالمعنى في الرکعة فلما ضعف

الناس عن ذلك أمرهم بثلاث وعشرين ركعة على وجه التخفیف عنهم من طول القيام، واستدرك بعض الفضیلۃ بزيادة الرکعات وكان يقرأ القراءة في ثمان رکعات أو اثنی عشرة رکعة، وقد قيل: إنه كان يقرأ

من ثلاثة آية إلى عشرين آية. وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة، فتنقل عليهم القيام فنقصوا في القراءة وزادوا في عدد الرکعات فجاءت ستة وثلاثین ركعة والوتر بثلاث فمضى الأمر على ذلك ولعل

التخفیف إلى ستة وثلاثین وقع قبل الحرة كما جاء في رواية محمد بن سرین أن معاذ آبا حلیمة كان يقوم

بهم إحدى وأربعين ركعة. وهو ما مات إلا في وقعة الحرة

والذی یهمنا ما ظهر من التدرج في التراویح في زمن عمر رضی الله عنه بالتفھیف من القراءة وزيادة عدد الرکعات فكانت قلة الرکعات معها كثرة القراءة وكثرة القراءة معها قلة الرکعات

: مناقشة "نعمت البدعة"

و قبل أن ننتقل من عهد عمر إلى عهد عثمان رضي الله عنهم يحسن إيراد الجواب على قول عمر رضي الله عنه: "نعمت البدعة" لجمعه الناس على قارئ واحد وصلاتهم إليها في جماعة. فما مراده بقوله هذا وما الجمع بين قوله: "نعمت" وبين كونها بدعة؟

وخير ما نسوق في ذلك هو كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء صراط المستقيم) ص 275 ما نصه قال: "فأما صلاة التراویح فليست بدعة في الشريعة، بل هي سنة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله، فإنه قال: "إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه". ولا صلاتها

جماعۃ بدعة بل هي سنة في الشريعة بل قد صلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة في أول شهر رمضان ليلتین، بل ثلاثاً. وصلاتها كذلك في العشر الاواخر في جماعة مرات. وقال: "إن الرجل إذا

صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة". لما قام بهم حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح. رواه أهل السنن

وبهذا الحديث احتج أحمد وغيره على أن فعلها في الجماعة أفضل من فعلها على حال الانفراد. وفي قوله

هذا ترغیب في قیام شهر رمضان خلف الإمام وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقة

وكان الناس يصلون حماعة في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرهـم وإقرارهـ سنة منه صلى الله عليه وسلم وأما قول عمر رضي الله عنه: "نعمت البدعة هذه" فأكثر المحتجـين بهذا لو أردنا

أن ثبـتـ حـكـمـاـ بـقـوـلـ عمرـ الذـيـ لمـ يـخـالـفـ فـيهـ لـقـالـواـ:ـ الصـاحـبـ لـيـسـ بـحـجـةـ

فـكـيـفـ يـكـونـ حـجـةـ لـهـمـ فـيـ خـلـافـ قـوـلـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ؟ـ وـمـنـ اـعـتـقـدـ أـنـ قـوـلـ الصـاحـبـ حـجـةـ

فـلـاـ يـعـقـدـ إـذـاـ خـالـفـ الـحـدـيـثـ

فعلى التقديرين لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب. نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين فيفيدهم هذا (حسن تلك البدعة) أما غيرها فلا ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي

فإذا كان نص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دل عليه مطلقاً ولم ي العمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى ((بدعة)) في اللغة لأنه عمل مبتدأ كما أن نفس الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة ويسمى محدثاً في اللغة. كما قالت رسول قريش للنجاشي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرون إلى الحبشة "إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا". في دين الملك وجاءوا بدين محمد لا يعرف

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة وإن سمي بدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة، وإن سمي بدعة في اللغة. فلفظ "البدعة" في اللغة أعم من لفظ "البدعة" في الشريعة

وقد علم أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلاله" لم يُرد به كل عمل مبتدأ، فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسالة فهو عمل مبتدأ. وإنما أراد ما ابتدأ من الأعمال التي لم يبشر بها هو صلى الله عليه وسلم. وإذا كان كذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادي. وقد قال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا: "إنه لم يعنني أن أخرج إليكم". لا كراهة أن يفرض عليكم فصلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة فعل النبي صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية الافتراض، وخوف الافتراض قد زال بموته صلى الله عليه وسلم فانتهى المعارض

وساق بعد ذلك أدلة أخرى كجمع القرآن ونفي عمر ليهود خبر، وقتل أبي يكر لمانع الزكاة. ثم قال مبيناً ضابط البدعة الحسنة من السيئة بما نصه: "والضابط في هذا والله أعلم أن يقال: إن الناس لا يحدثون شيئاً إلا لأنهم يرونها مصلحة، إذ لو اعتقادوه مفسدة لم يجدثوه. فإنه لا يدعون إليه عقل ولا دين مما رأه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحوج إليه، فإن كان السبب المحوج إليه أمراً حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم فهنا قد يجوز إحداث ما تدعوا إليه الحاجة إليه - قال رحمة الله عبارة مفادها أن

- ترك النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر من غير تغريط وكذلك إن كان المقتضى لفعله قائماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن تركه النبي صلى الله عليه وسلم لمعارض وقد زال بموته". أهـ

هذا هو كلام شيخ الإسلام بن تيمية بنصه في بيان كلمة عمر رضي الله عنه "نعمت البدعة". وأعتقد أنه واضح في الرد على من يتحجج بها على أن صلاة التراويح جماعة بدعة أو أن العدد الذي ورد عن عمر فيها 21 ركعة بدعة

غير أن البحث في إثبات ذلك العدد عنه أو عدم إثباته ويكفي في ذلك روایات مالک في الموطاً والله تعالى أعلم